العقيدة العسكرية الروسية الجديدة

■ حميدي العبدالله

وقّع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، على وثيقة استراتيجية هامة تتضمّن عقيدة عسكرية جديدة، تضع هذه العقيدة العسكرية توسّع حلف شمال الأطلسي بوصفه واحداً من الأخطار الخارجية الرئيسية، وتتميّز هذه العقيدة عن سابقتها التي وُضعت عام 2010 بأنّ السابقة كانت تقيّم توسع حلف شمال الأطلسي بأنه خطر كبير.

من الصعب التمييز بين المصطلحين، ولكن السياق السياسي العام للعلاقات بين روسيا والغرب هو الذي يعكس الفارق بين ما جاء في عقيدة 2010 وعقيدة 2014.

بمعنى آخر أنّ روسيا منذ عام 1995 عندما وضعت أول عقيدة عسكرية لها بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، كانت هذه العقيدة تشير إلى خطرين أساسيّين يلزمان الدولة الروسية بالتصدّي لهما، الخطر الأول، توسع حلف شمال الأطلسي (الناتو) شرقاً، أيّ باتجاه بعض دول أوروبا الشرقية، والدول التي كانت جزءاً من الاتحاد السوفياتي، والخطر الثاني تعرّض الأقليات الروسية في جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق إلى الخطر، حيث التزمت تلك العقيدة بالدفاع عنهم، بل أكثر من ذلك إنّ اتفاقية حول أوكرانيا وقّعت في منتصف التسعينيات بين الدول المعنية وروسيا في عهد بوريس يلتسين الحليف القويّ للغرب، ركزت على ضرورة أن تكون أوكرانيا دولة محايدة، ولكن تصويت البرلمان الأوكراني مؤخراً على إلغاء حياد أوكرانيا والطلب رسمياً من قبل الحكومة الأوكرانية الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو) شكل خروجاً ثالثاً على الخطوط الحمر التي حدّدتها روسيا الرأسمالية في عهد يلتسين، وأعاد التأكيد عليها الرئيس بوتين في فترة ولايتيه الأولى والثانية، والآن في ولايته الثالثة، كما أكد عليها ميدفيديف في ولايته التي سبقت إعادة انتخاب الرئيس بوتين لولاية ثالثة.

الخلاصة أنّ الحكومات الغربية، وأيضاً الحكومة الأوكرانية، لم تحترم الخطوط الحمر التي هي موضع إجماع في روسيا، وبمعزل عن هوية الحاكم الذي يقيم في الكرملين، سواء كان موالياً للغرب، كما هو حال يلتسين، أو مصمّماً على إعادة العلاقات المتكافئة بين الغرب وروسيا إلى وضع يليق بقدرات روسيا العسكرية، وموقعها الجيوسياسي، وثرواتها الطبيعية الكبيرة، وبالتالي لم تعد المسألة هي مسألة بوتين، كما يحاول قادة الغرب والإعلام الغربي تصوير الأمور.

في مثل هذه المعطيات، فإنّ أيّ مسؤول روسي لن يكون قادراً على عدم الردّ عندما يتمّ تجاوز الخطوط الحمر التي هي موضع إجماع القوى والتشكيلات السياسية الروسية والتي يلتفّ حولها أبناء الشعب الروسي، أو على الأقلّ غالبيتهم، وإذا ما استمرّ الغرب بتجاهل التحذيرات الروسية، فإنّ الوضع سيتدهور أكثر مما هو عليه الحال الآن، وسيكون الغرب هو المسؤول عن التداعيات والتبعات الناجمة عن هذا التدهور.

الأردن يستجيب لمطالب «داعش» من الصفعة الاولى

■ روزانا رمّال

تناقلت وسائل إعلام أردنية ما يفيد أنّ السلطات الأردنية أبلغت الجهات المعنية داخل التحالف الدولي ضدّ «داعش» بأنّ الطائرات الأردنية ستعلّق مشاركتها إلى أن يتمّ الكشف عن كلّ التفاصيل ومعرفة الأسباب وراء سقوط الطائرة في الرقة السورية.

المفارقة انّ هذا الإعلان جاء فيما السلطات الأردنية لم تتبنّ أصلاً فكرة انّ طيارها وقع رهينة «داعش»، وكلّ ما ذكر كان انّ التحقيقات ما زالت مستمرّة وأنّ مصير الطائرة والطيار لا يزال غير معروف.

فجأة يقرّر الأردن تعليق العمليات العسكرية ضدّ «داعش» في خطوة أقلّ ما يُقال فيها إنها مدهشة، سواء لناحية دلالاتها، أو لما ستتركه عند المنظمات الإرهابية المشاركة في هذه الحرب، التي يبدو أنّ الحكومة الأردنية شخصنت الحرب على الإرهاب رسمياً، وربطتها بمصير الطيار المفقود، والسؤال: ألم تكن الحكومة الاردنية تتوقع ايّ تداعيات لدخولها التحالف؟ وهل يمكن دخول حرب او مواجهة من دون خسائر؟

اذا كانت الحكومة الاردنية تخشى ان تتفاقم المشكلة اكثر بسبب مشاركتها في التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، او إذا كانت تعتقد أنّ خطف د»اعش» للطيار هو نتيجة مباشرة لمشاركتها، فإنّ هذا يؤكد انه تمّ الخضوع للمطالب التي لم تصرّح عنها «داعش» نفسها حتى، وفي هذا إعلان عن مفاوضات تمّت منذ أن أعلن الأردن استعداده لها على لسان وزير الأوقاف، حيث أكد استعداد بلاده للتفاوض مع «داعش» لتحرير أسيرها، مع الاستعداد لدفع الفدية، لكن يبدو انّ الفدية صارت إعلان الاستسلام امام «داعش» بخروج الأردن من الحرب.

هذا عن الأردن، أما ما جرى فهو بالتأكيد لا ينسحب على قرار الحكومة الأردنية، بل نموذج لما يمكن أن يجري على الأقلّ مع الدول العربية التي سارعت للانضمام الى التحالف ضدّ «داعش»، فهل وضع السعودية أفضل لو حدث الشيء نفسه؟ وهل تتحمّل الأمر نفسه وهي أقرب الى مخاطر «داعش» من أي دولة أخرى بين خلايا نائمة وقاعدة وسواها؟

كيف يمكن التعويل بعد على حلف دولي يكافح الإرهاب؟

وهنا يتوقف المراقبون أمام صمود لبنان وتجربته مع عسكرييه الذين تعرّض خمسة منهم للذبح، ولم تسلّم الحكومة اللبنانية لمطالب الإرهابيين رغم الدعوات الداخلية للتفاوض والمقايضة...

تبقى التهنئة الرئيسية للولايات المتحدة الأميركية التي حشدت لتحالفها باعتباره البنية الصلبة التي ستواجه الإرهاب، ولم تقبل بدخول المعنيّين مباشرة وفعلاً بمقاتلة الارهاب، كسورية وإيران بداعي أنّ حلفاءها سيقومون بالمهمة.

رفض الاميركيون تحالفاً جديدياً يصمد في وجه العواصف والدواعش، وإذ بهم ينالون تحالفاً كرتونياً...

الأردن يستجيب لمطالب «داعش» من الصفعة الاولى، ويبدو أنّ الحبل على الجرار...

«توب نيوز»

خطة الجيش في عرسال

اتخذ الجيش اللبناني إجراءات جديدة في المنطقة الفاصلة بين عرسال وجرودها بحيث لم يعد مسموحاً سلوك الطريق عبر حواجز الجيش إلا لمن معهم بطاقة مرور تمنح فقط للذين لديهم حقول او كسارات، أو يعملون بصورة دائمة في إحداها، أو قام بطلب البطاقات الموقتة بأسمائهم وهوياتهم الصريحة أحد أصحاب العمل هناك.

منعت الإجراءات عملياً تنقّل المسلحين من وإلى عرسال.

لن تعود عرسال تدريجاً القاعدة الخلفية للمسلحين في الجرود، ولا مصدر تموينهم ومحروقاتهم وملاذهم ومستشفاهم.

الإجراءات تأتي استباقاً لموسم الثلوج الذي سيقذف بمئات المسلحين نحو عرسال.

الإجراءات تفرض على المسلحين مواجهة موسم الثلوج بأحد خيارين... إما قبول الحصار ومعاناته أو التفاوض تحت سقف منخفض على مصير العسكريين مقابل شحنات تموين أو حلّ بالانسحاب الكلي من المنطقة إلى خارج لبنان عبر البرّ إلى مرفأ ينتقلون منه بحراً.

الشهران المقبلان حاسمان في مصير المفاوضات حول العسكريين والمسلحين، فالخاطف والمخطوف في مركب واحد.

الضجة الاحتجاجية بعنوان إنساني تهدف إلى تشريع وضع المسلحين في السيطرة على عرسال ومنحهم وضعاً تفاوضياً أقوى.

التعليق السياسي

هل أصبح العرب نماذج؟

■ شهناز صبحي فاكوش

اجتاحت الريح الصفراء الأمة... اختلف فعل الساحات.. والتعامل معها عربياً وإقليمياً ودولياً.

القاسم المشترك بين كلّ الأقطار كان التخريب الذي أحدثه خروج فئات من الناس بطلب الحرية والديمقراطية... خروج ابتدأ بالحرق والتكسير وتخريب المنشآت العامة بحجة أنها تتبع النظام القائم.

كانت العقول مغيّبة تحت تأثير أقلّ ما يُقال فيه الوقوع تحت سلطة (مخدّر ما) لا يعرف كنهه... السائد إلغاء لغة العقل في تغييب الحكمة، والسير خلف من ادّعوا أنهم رموز لما دُعي خطأ بـ«الثورة».

ثبت هذا الخطأ في جميع البلدان العربية، بدلالة استلاب «الإخوان المسلمين» لمقاليد الأمور، بالتفاف جماعاتهم على الحراك في معظم الساحات، تبعاً للحاضن الاجتماعي أو النزوع إلى الحالة الدينية، ظنّ المعظم أنّ فيها الخلاص بفعل التركيب النفسي.

لم يصمد في وجه هذه الريح الصفراء؛ كاشفاً أبعاد المؤامرة منذ الأيام الأولى، إلا الشعب السوري... الذي فضح ما حيك للعرب والمتآمرين عليهم... باستغلال الأخطاء القائمة، والتهميش في الحياة الخدمية والسياسية، وما أدّى إليه الفساد المتفشي.

هذه الريح العاصفة لم تأت مصادفة... هي استكمال لما حدث من غزو أميركي استعماري للعراق، مع بعض التعديل وفق مقتضى الحال، فلم تعد أميركا قادرة على المزيد من فقد جنودها. ما قد يؤدّي إلى هياج الشارع فيها وبالتالي تفكّكها وانهيارها.

تغيّرت خطة تحطيم الأمة... فكان لا بدّ أن يكون بيدها لا بيد (عمرو) طبقاً للمثل السائد. استغلّ الفساد وسوء التقدير، والترهّل في أداء الخدمات للمواطنين. لتصبح مطية لتصدير شعارات كبيرة تترجم بعبثية تخريبية على الأرض.

صمود سورية أعيا صنّاع المؤامرة المستهدفة للأمة... بانتظار تحطيمها عندما تنهار سورية... تلاشت كلّ الجداول الزمنية التي راهنت عليها جميع الأطراف للتخلص من الدولة السورية.

فشلوا في تفكيك نسيجها الاجتماعي واستهداف أقوى الأحزاب فيها، حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي تماسك أكثر منذ اللحظات الأولى للأزمة... ولم يطرأ عبر عمره الزمني الممتدّ لأكثر من ستة عقود أيّ انقسام بنيوي في نهجه أو عقيدة حملة فكره ولا بجموع أفراده.

تغيّرت أساليب التعامل مع سورية مرات عديدة وصولاً إلى حقن الإرهاب وأدواته فيها، ودعم الجماعات التخريبية المسلحة بمختلف مسمّياتها، وما زالت متماسكة قوية بجيشها وصمود أبنائها.

اللافت أنّ السياسة الأميركية ومن لفّ لفيفها في حياكة المؤامرة على سورية، غرباً وعرباً خونة ومتآمرين، جعلت مما حدث على الساحات العربية بنظرهم نماذج، حاولوا مرة بعد مرة إسقاطها على سورية، لكنها جميعاً كانت تنتهي بالفشل.

فلا ما دُعي زيفاً بثورة الياسمين في تونس، التي صُدم بنتائجها كلّ من عوّل عليها، وانتهت باكتشاف المؤامرة القذرة، وتخريب تونس لصالح «الإخوان»، الذين سقطت آخر ذيولهم في الانتخابات الأخيرة. على أمل أن تبرأ من كلّ التشوّهات التي أصابتها. فشلت الجهات المتآمرة من تطبيقه على الأرض السورية.

وفشل النموذج الليبي الذي جعل من ليبيا غابة محروقة، لا يستر أهلها فيء شجرة. بفعل قوات «الناتو» ودعم الحَدَيْن، والتي تشهد اليوم إحراق آبارها النفطية، لتحطيم اقتصادها. آخر منشأة يمكنها الإتكاء عليها لتتعافى.

ما حدث قبل هذه وتلك من تقسيم للسودان عبر ما يمكن أن يدعى بالضغوط الساخنة، وصولاً إلى الحرب المحلية بين الدولة والجنوب، فشل في سورية ووئد قبل أن يبدأ.

أما ذريعة الكيماوي فقد جاءت واسعة جداً، إلى درجة وصولها إلى مستوى الفضيحة المكشوفة... لكنها انتهت لصالح سورية. كما فشل مشروع لبنتة سورية.

أما ما حدث في مصر فهو وحده حكاية... فبعد الهياج الشعبي، يَظهر غول «الإخوان» ليلتهم السلطة بالأغلبية، ويرفع رئيسه المعتوه علم تقسيم سورية، ويعود الشعب المصري ليملأ الشوارع.

يروّج لقائد الجيش رئيساً، وهنا يبدأ الريب لدى الكثير من الفئات السياسية، ماذا عن تخلّف الرجل وحده عن ركوب الطائرة، التي تقلّ ما ينوف عن خمسين ضابطاً مصرياً، أنهوا تدريباتهم العسكرية في أميركا... لتسقط في المياه المالحة بمن فيها، سؤال يستحق التبصّر؟

كلّ النماذج تستعصي لأنّ سورية لا يمكن إلا أن تكون سورية وسورية فقط.

لماذا اليوم تستفيق مصر؟ ملتفتةً إلى سورية وهي في قطيعة رسمية معها. فتجمع ما دعته بفصائل المعارضة... أيّ فصائل هذه؟ المعارضة السورية ليست إلا أفراداً تناهت أصواتهم من معاناة شخصية... لا يمثلون إلا أنفسهم. من كانوا خارج الحدود أو داخلها... وكلّ له قصة، يحفظها السوريون جيداً.

هل وصلت الأوامر الأميركية إلى السعودية؟ أم إلى مصر؟ أم إلى بعض من دعوا أنفسهم معارضة سورية؟ والجميع يعرف تماماً مدى علاقة بعضهم مع فورد منفذ ورقة التآمر على سورية... السفير المطرود من أرضها... أوامر تدعو إلى جمع ائتلاف وتنسيقيات متصدّعة لأكثر من مرة في محاولة للملمتها.

المعارضة التي تعمل على بلورة أفكار خاصة لها، وأوراق تشخصنها لتجعل لذاتها هوية متفرّدة، هي الأحزاب التي رُخّصت وفق الدستور والقانون السوري وتُحترم.

السؤال: لماذا الآن؟ هل أعيت سورية أميركا ففشلت، حتى تواري سوءتها عبر تحركها من خلال مصر؟ أم هي محاولة اختراق للجهود الروسية لجمع أطراف مهّما كانت هشاشتها لحوار الدولة السورية القوية؟ أم لإبراز أنّ أميركا لا بدّ أن تكون جزءاً من الحلّ؟

هل تلقت مصر تغيّر موقف الحليف السعودي فتلطى خلفها لإبداء حسن النوايا... في عودة إلى الصواب بعد زمن من (التخلي)؟ خاصة بعد محاولة جسر الهوة مع قطر.

أسئلة مبرّرة يضع النقاط على حروف أجوبتها الجيش السوري بإنجازاته على الأرض ضدّ الإرهاب... وإنجاز المصالحات الوطنية المحلية... وصمود الشعب.

أما الشعب العربي في الشارع العريض الذي يسجل في كلّ يوم كلمته الفصل في اكتشاف المتآمرين عليه... وسرّاق السلطة ولو بعد حين... والذي وعى حجم المؤامرة على الأمة، وسورية خاصة التي يقضّ وجودها وصمودها الكيان الصهيوني... هذا الشعب العربي هو النصير الحقيقي للشعب العربي السوري بكلّ مكوناته.

سورية وقائدها بشار الأسد المؤمن مع شعبه بأنّ الحلّ السياسي هو المخرج الوحيد من الأزمة السورية ودحض المؤامرة. أطلق مبادرتها الشاملة كخيار جامع لا شرط فيه إلا حبّ سورية والحفاظ عليها.

المؤمنون بأنّ الحلّ لابدّ إلا أن يكون سورياً، بعيداً عن أيّ ارتباط خارجي، ولا بدّ أن يكون بعيداً عن مؤثرات مبنى المفتتة العربية. التي أصبحت كأيّ عشوائية خليجية أداة أميركية، حيث المحرك الأساس للجميع العقل الصهيوني العدائي الأزلي.

كلّ عام وأمتنا أكثر تعافياً وشعبها أكثر عزة وحفظاً لهويته... كل عام وسورية أكثر انتصاراً... وأكثر قوة وعزة فهي ملاذ الأمة ورافعتها.

الفيلم المثير للشبهات !؟

■ د. سلوى خليل الأمين

تكثر التنبؤات في مطلع العام الجديد، علما أنه: «كذب المنجمون ولو صدقوا»، لكن يبقى الإنسان في هذه الدنيا معلقاً بحبال الهواء، يأنس التنجيم وسماع المنجّمين، حتى إذا حدث ومرّت الصدف بنجاح ما، علت الصيحات بأنّ فلاناً من المنجّمين تفوّق بحدسه ورؤاه، كأنه نبيّ الألفية الثالثة الذي منحه الله علمه ومعرفته.

لهذا، وفي ختام هذا العام، تبشرنا محطات التلفزة الفضائية والمحلية بسهرات متميّزة نجومها من العالمين بالغيب، الراصدين لمسارات الكون، المتمكنين من كشف المخططات السياسية والحربية العالمية والمحلية بيقين يعجز عنه الفكر العسكري أو المعرفي المدرّب في أهمّ الأكاديميات العالمية.

المؤسف أنّ هؤلاء تهبط عليهم الثروات بين ليلة وضحاها، لمجرّد ظهورهم على محطة تلفزيونية، تروّج لخزعبلاتهم المكتوبة على الورق، والتي يعجزون أحياناً عن قراءتها، بشكل صحيح ومن دون تلعثم، بسبب ضعف ملكة القراءة لديهم، فهم لا يملكون الشهادات العالية، ولم يكتنزوا العلم الأكاديمي، ولم يسهروا الليالي ويخوضوا الامتحانات الصعبة، ولم يكلفوا الوالدين جنى العمر أقساطاً مالية، ينوء بحملها العديد من العائلات.

الغريب أنّ مرورهم على الفضائيات، وأمام مذيعين ومذيعات مخضرمين في العمل الإعلامي، يجعلهم كالطواويس المنفوشة الريش، بحيث إذا حاول الإعلامي المحاور مقاطعة سيل أفكارهم الجنونية، يتصدّون لتأنيب السائل بالقول: ما تقاطعني! هذه العبارة تخلو من المعرفة بأصول الحوار، كون الحوار سؤال وجواب، وليس استطراداً بشكل لا يؤدّي الإعلامي السائل دوره المطلوب.

هنا يرتسم السؤال الموجه إلى المسؤولين عن السياسة الإعلامية في الوطن، وعلى رأسهم وزير الإعلام: هل عمد الوزير المسؤول إلى مراقبة البرامج التلفزيونية والإذاعية المعدّة لسهرة عيد رأس السنة الميلادية؟ هل تمّت الدعوة إلى اجتماع عمل تشترك فيه وزارات السياحة والثقافة والإعلام مجتمعة، من أجل تنبيه المحطات التلفزيونية بالعمل على إدراج نبذات عن السياحة في لبنان وأهميتها، والترويج لها من منطلق وطني، إضافة إلى العمل على استضافة الشعراء والأدباء والرسامين والموسيقيين الذين أغنوا الوطن بنتاجاتهم الفكرية الثرية بمضامينها التي جعلت لبنان عبر التاريخ: وطن الإشعاع والنور. فلبنان ليس وطناً للمبتذلات من لابسات الميكرو جيب والنافخات الخدود والوجوه من أجل تغطية مرور الزمن، كما أنه ليس وطناً لاعوجاجات «بيت بو سياسة» وأخبارهم التي تملأ صفحات الصحف اليومية، هذه الصحف التي تهمل بشكل مقصود أهل الثقافة في الوطن، الذين هم أهل التنوير والحضارة والرقيّ، والذين يشكلون الصفحة المضيئة عبر التاريخ، لكل وطن قادر على حماية إرثه الفكري الإبداعي ونتاجه الفني المتميّز.

قضية أخرى يجب الانتباه إليها قبل انتهاء العام 2014، تتلخص بما يلي: بالأمس دُعيت إلى حضور فيلم سينمائي في إحدى صالات بيروت، الفيلم تحت عنوان: exodus، أحداثه تعود إلى الحقبة الفرعونية في العام 1300 ق.م. في مدينة ممفيس المصرية، الفيلم يعرض لحياة العبرانيين في عهد الفراعنة وما عانوه من اضطهاد وظلم وتعسّف وقهر، خصوصاً خلال أخذهم كعمّال سخرة، من أجل بناء الأهرامات والتماثيل الفرعونية. سبق عرض الفيلم إعلان يقول: «هذا الفيلم لا يمتّ بصلة إلى دين معيّن أو حقيقة معيّنة». لكن حين يبدأ العرض تحصل المفاجأة، فالقصة هي حكاية النبي موسى من بدايات التقاطه وتربيته مع رمسيس ابن الفرعون، إلى أن أصبح قائداً عسكرياً يدعم العبرانيين الذين هم بني قومه، كي يخلّصهم من جور رمسيس الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه الفرعون الأكبر، والذي عرف حقيقة موسى وأمر بقتله، إلا انّ الموكلين بقتله لم ينفذوا الأمر، بل تركوه يغادر سراً إلى الشرق، حيث هناك تزوّج وأنجب صبياً، بعد 9 سنوات عاوده الحنين إلى أرض مصر، فعاد كي يدعم جماعات بني إسرائيل ويحرّرهم من عبودية رمسيس، الفرعون الجديد بعد أن ظهرت النبوءة عليه، عبر صبي مثل الوحي الموحى الذي يرشده إلى الطريق القويم، والذي كان يملي عليه عقائده ووصاياه وإرشاداته، كأنه الذات الإلهية التي تجلت للنبي موسى في طور سيناء كما تقول الكتب السماوية.

بعدها يعرض الفيلم النكبات واللعنات التي حلت على مصر بأمر إلهي، «تلوّث مياه النيل بالدم، زحفت أرتال الجراد وأسراب الذباب الحاملة للجراثيم، وفاة أطفال الفراعنة بوباء مرسل الخ...»، كل ذلك بسبب الظلم الذي تعرّض له اليهود في عهد الفرعون رمسيس، مما أجبره، بعد حوار مع موسى الذي أصبح القائد العسكري للعبرانيين، على تحرير العبرانيين والسماح لهم بـ«العودة» إلى أرض كنعان.

المهم في الفيلم أنه يعرض ما تعرّض له اليهود العبرانيون في مصر من تنكيل وجلد وإعدام وتمثيل بالجثث وحرق البيوت، وهذا ذكرني بما كنت أشاهده على محطات التلفزة، حين سكنت بروكسل عاصمة بلجيكا في العام 1983، وخصوصاً في تلفزيون لوكسمبورغ، الذي كان يختار الأفلام العنصرية التي تعرض بشكل مستمرّ لقضية الهولوكست، وما تعرّض له اليهود على يد ألمانيا النازية من محرقة وتعذيب وطرد واضطهاد وخلافه، والغاية إثارة الشفقة والحقوق الإنسانية لمن سمّوا أنفسهم «شعب الله المختار».

من يشاهد تلك الأفلام، يتملكه شعور بالعطف بل الحزن، وهذه هي الغاية المرجوة، علماً انّ غاية الصهيونية العالمية هي إثارة عملية الشحن العنصري على مدى حقب التاريخ، أيّ منذ الحرب العالمية الثانية ولتاريخه، بحيث ما زالت هذه الأفلام تستبيح العقول وتستثير العطف الإنساني، ما أدّى في ما بعد إلى إطلاق وعد بلفور ومنح اليهود فلسطين هدية مجانية... والفيلم المذكور «exodus»، هو صورة واضحة لما كانت تروّج له أوروبا وأميركا والصهيونية العالمية ولا زالت، لكن هذه المرة، في بلد عربي اسمه لبنان...!؟

ما أودّ استيضاحه هو: من سمح بعرض هذا الفيلم في الصالات اللبنانية التي كانت مكتظة بالحضور، ثم كيف تمّ تمرير الفيلم من دون عرضه على دوائر الرقابة الأمنية المختصة؟ أما إذا عُرض على الرقابة وتمّ السماح بعرضه فهنا المصيبة الفظيعة! حين من تابع مراقباً مضمون الفيلم، الذي يشبه إلى حدّ بعيد الأفلام الصهيونية المعدّة في هوليود وفرنسا، والتي نشرت قضية المحرقة اليهودية بتفاصيل عنصرية لا تمت إلى الحقيقة البحثية المعمّقة بصلة، إما أنه لم يفهم مجريات أحداث الفيلم والعنصرية الظاهرة فيه، وإما أنه لم يقرأ التاريخ، وكلا الأمرين خطير جداً؟

لهذا نسأل: ترى هل أصبحت الحرية وانفلاشاتها في لبنان هي عصب الحياة المتطوّرة التي لا يجوز الحياد عنها؟ ثم من قال إنّ الحرية تكون على حساب الالتزام الوطني والقومي؟ وهل نحن كلبنانيين ملزمون بالترويج للعنصرية الصهيونية؟ وكيف تعمد مصر إلى منع عرض الفيلم فيما يُسمح بعرضه في لبنان؟ علماً أنّ لبنان ما زال بلداً معادياً لإسرائيل ولم يوقع معاهدة سلام معها؟ إنه فيلم مثير للشبهات في بلد يُقرّ دستوره أنه بلد عربي الهوية والانتماء.

ربع قرن على هدم جدار برلين هل ندم الألمان على وحدتهم؟

■ وسام سعد

لا يمكن الحديث عن ألمانيا من دون التوقف عند متحف «جدار برلين»، أو «جدار العار»، كما أسماه الغرب، والنظر إلى حزمة الأسلاك الشائكة ورسوم الغرافيتي على الجزء المتبقي منه، وما يختزله من حكايا معاناة، بعدما تحوّل من رمز للانقسام إلى رمز للوحدة، ومزاراً سياحياً وميلاداً جديداً لألمانيا.

هَدمُ جدار برلين المُقام سنة 1961، كان أحدُ أبرز أحداث القرن الماضي. يحتفل به الألمان في كلّ عام. سقط الجدار فجأة في ليلة التاسع من تشرين الثاني 1989، في شكل شبه كامل، باستثناء 103 أمتار بقيت منه، لتتحوّل بعد ذلك إلى معلم تذكاري، بُني عليه «متحف الجدار»، أحد رموز الحرب الباردة.

عام 1987 ألقى الرئيس الأميركي رونالد ريغان كلمة عند جدار برلين، طلب فيها هدم الجدار من رئيس الاتحاد السوفياتي السابق ميخائيل غورباتشوف الذي أثار تنصيبه أميناً عاماً للحزب الشيوعي آنذاك سخط دول المعسكر الاشتراكي في أوروبا الشرقية.

وأعطى سقوط الأنظمة الشيوعية في بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، خلال الفترة ما بين 1988–1989، حافزاً للألمان لتفعيل الحراك السلمي الشعبي بين الشطرين نحو الوحدة، وتزامن ذلك مع إعلان «عفوي» لغونتر شابوفسكي، عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي الألماني، مفاده «أن قيود التنقّل بين الألمانيتين رُفعت».

أدوات هدم الجدار، التي كانت في غالبها بدائية وبسيطة، باتت تصطف فوق رفوف متحف جدار برلين، لتشهد على حقبة أليمة من التاريخ الألماني. وتخليداً للحظات توحيد الألمان، أنشئت صالة العرض «إيست سايد غاليري»، على الجزء الأطول من بقايا الجدار، لتكون مصدر إلهام لإبداعات الفنانين، ولعلّ أبرزها لوحة للرسام الروسي ديميتري فروبيل بعنوان «قبلة أخوية»، يظهر فيها الرئيس الألماني الشرقي إريك هونيكر وهو يعانق نظيره السوفياتي ليونيد بريجنيف.

تدفقت إثر الوحدة بلايين الدولارات على المناطق الشرقية، لإصلاح البنى التحتية في المدن، ومحاربة الفساد الإداري المستشري فيها منذ الحقبة السوفياتية، وتوفير فرص العمل. حينها أدرك الشرقيون أنّ الرخاء الذي عمّ عليهم من ألمانيا الغربية لم يأت بين ليلة وضحاها، وإنما كان مخططاً له منذ عقود.

رغم التوحيد، لا تزال حال من عدم الارتياح قائمة إلى الآن في العلاقات الداخلية بين الشرقيين والغربيين، معظمها بسبب الإرث الاقتصادي للنظام السابق. ففي حين تحتفل برلين بذكرى سقوط الجدار، تحيي منطقة لايبزغ في شرق ألمانيا بدلاً من ذلك ذكرى الثورة غير العنفية. لكنه انقسام لا يعني الكثير مقارنة بالإنجازات الهائلة التي حققها الشعب الألماني بعد وحدته، وضمن الاتحاد الأوروبي الأكبر.

معجزة اقتصادية لم تتحقق

على الصعيد الاقتصادي يبدو انّ تبعات وسلبيات الوحدة فاقت بكثير توقعات الساسة الألمان، فقد بلغت تكاليف الوحدة حتى الآن ما يزيد عن 1500 مليار يورو، أنفق معظمها في مشاريع البنية التحتية وفي أنظمة الرعاية الصحية والتقاعد. وفي مقال له في صحيفة «فرانكفورتر الغماينة تسايتونغ» كتب مدير مركز جامعة برلين الحرة للأبحاث المتخصصة في شؤون ألمانيا الشرقية كلاوس شرودر يقول: «لقد حاولت جميع الحكومات الألمانية عدم الكشف بأمانة عن التكاليف المترتبة على الوحدة الألمانية تفادياً لنشوء مظاهر الحسد والتذمّر تجاه الألمان الشرقيين». وما زال الألمان الشرقيون يتذكرون شعارات هيلموت كول في أول انتخابات جمعت بين شطري البلاد عام 1990 عندما وعد بتحقيق «معجزة اقتصادية» في الشطر الشرقي على غرار تلك التي تحققت في ألمانيا الغربية عقب الحرب العالمية الثانية. ولكن يبدو أنّ تجاوز آثار 40 عاماً من الأداء الاقتصادي السيّئ لحكومات ألمانيا الشرقية لن يتمّ بين ليلة وضحاها، كما أنّ التحوّل من نظام الاقتصاد الموجه الى اقتصاد السوق لن يكون بالسهولة التي توقعها الساسة الألمان، فإنتاجية الشركات والمصانع هناك لا تعادل نصف مثيلاتها في ألمانيا الغربية، كما أنّ تلك المصانع قديمة وغير قادرة على إنتاج ماركات قادرة على المنافسة في أسواق أوروبا الغربية.

هذا كله أدّى الى إعلان عدد هائل من الشركات الشرقية عن إفلاسها في فترة وجيزة جداً، الأمر الذي أدّى الى ارتفاع حادّ في أعداد العاطلين من العمل هناك، وهي المشكلة التي تحاول الحكومة الألمانية إيجاد حلّ لها منذ سنوات.

سيطرة اقتصادية

ولم يمرّ وقت طويل حتى بدأت الفجوة في الاتساع من جديد. فأخذت الشركات الألمانية الغربية العملاقة تبسط يدها على ما تبقى من اقتصاد ألمانيا الشرقية المنهك، ليس بهدف تطويره أو تحديثه وإنما بهدف ضمان التخلص ومنذ البداية من أيّ منافسة ألمانية شرقية في هذا المجال أو ذاك. كما حاول الكثير من الألمان الغربيين الكسب والربح بطرق ملتوية، مستغلين بذلك براءة وسذاجة الألمان الشرقيين وقلة خبرتهم في السوق الجديدة. وفي المقابل، بدأ الألمان الشرقيون بالبحث ومن دون جدوى عن الرخاء الاقتصادي الذي وعدهم به هيلموت كول. وهنا نشأت صورة الألماني الغربي المغرور الذي يدّعي المعرفة والإلمام بكل شيء (Wessi) تقابله صورة الألماني الشرقي المتذمّر الممتعض باستمرار.

أخذت المليارات تتدفق من ألمانيا الغربية إلى ألمانيا الشرقية فتمّت عمليات إصلاح المدن وتحديث البنية التحتية لألمانيا الشرقية، وتوفرت فرص عمل ولكن ليس للجميع. فتدافع الشبان الأذكياء الأكفاء من بعض مناطق ألمانيا الشرقية باتجاه الغرب مخلفين وراءهم كبار السنّ قليلي الحيلة. وكانت القلة القليلة من الألمان الشرقيين قد أدركت أنّ الرخاء والازدهار الذي عمّ عليهم من ألمانيا الغربية لم يأتِ بين ليلة وضحاها وإنما كان مخططاً له منذ عقود طويلة.

الفائزون والخاسرون

الكثيرون يفضلون الآن عودة السور، وقد خلص الاستفتاء إلى أنه في الوقت الحالي لا تظهر هذه المشاعر إلا في بعض المناطق البعيدة عن المركز بولاية براندنبورغ، ومن حين إلى آخر في أوساط بعض الأقليات فحسب. أما في الغرب، فإنّ ثمة مقولة تتردّد كثيراً مفادها أنّ المواطنين في شرق ألمانيا مستسلمون بشدة لمشاعر «رثاء النفس وبكاء الحال».

كما أشار استطلاع إلى أنّ مواطني شرق ألمانيا الذين كانوا مندمجين بشكل كامل في النظام الاشتراكي، والذين ولدوا في شرق ألمانيا قبل عام 1973 هم بين الفئات الأكثر ميلاً الى عودة السور.

وبعد سنوات من اختفاء سور برلين فإنّ ثمة نقاشاً يدور في شرق وغرب ألمانيا حول ما يسمّى «الفائزون والخاسرون» من إعادة توحيد شطري ألمانيا.

هل ندم الألمان على تحقيق الوحدة؟

على الصعيد الاجتماعي هناك تباين واضح في مواقف الألمان من الوحدة. فبعد الاحتفالات الشعبية العفوية والمعانقات الحارة التي أعقبت انهيار سور برلين، عادت الخلافات والمنافسة بين المجتمعين تطفو على السطح. هذا ما أشار إليه عالم الاجتماع هاينز بوده في كتابه «الأمة الساخرة» الصادر في هامبورغ عام 1999، والذي أشار فيه الى أنّ استخدام تسميات مثل «غربيين» و «شرقيين» لم يقلّ بعد الوحدة وإنما زاد وتفاقم، مؤكداً فرضيته هذه بالقول: «كلما اقترب المرء من الآخر، كلما زادت رغبته في الابتعاد».

«الوحدة الألمانية حدث تاريخي رائع»... هذا ما يتردّد سماعه في كلّ مكان... وهذا ما يراه معظم الألمان. ولكن آخر استطلاعات للراي أظهرت شيئاً آخر وهو أنّ 20 بالمئة من الشعب الألماني يتمنى التقسيم وعودة سور برلين من جديد.

ولقد أظهر استطلاع رأي آخر أجراه معهد فورسا لحساب «الجامعة الحرة» في برلين أنّ واحداً من بين كل تسعة من سكان العاصمة الألمانية يحبّذون عودة سور برلين، وذلك بعد 19 عاماً من هدمه.

هذا الاستطلاع الذي أجري في ربيع العام (2008) شمل ألفي ألماني في برلين وولاية براندنبورغ المحيطة أظهر أنّ 11 في المئة من المستطلعة أراؤهم في غرب برلين و12 في المئة في شرق برلين قالوا إنهم يحبّذون لو أنّ السور الذي انهار في تشرين الثاني عام 1989 قد ظلّ في مكانه.